العلاقة بين المنهج الإداري في السنة النبوية والمناهج الإدارية الحديثة
دراسة تطبيقية مقارنة على السيرة النبوية وفترة الإمام المهدي

عليان علي رحمة عليان وحاج حمد تاج السر حاج حمد البولادي

قسم إدارة الأعمال –كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية – جامعة كسلا

كلية الدراسات الإسلامية – جامعة كسلا

The relationship between the administrative approach in the Sunnah and the modern administrative methods
A comparative applied study on the Biography of the Prophet and the period of El- Imam El- Mahdi

Alyan Ali Rahama and Hag Hamad Tag Assir hag Hamad Alboaldi

Department of Business Administration, Faculty of Economics and Administrative Sciences, Kassala University

Faculty of Islamic Studies, University of Kassala

المستخلص

الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو استكشاف وتحليل المناهج الإدارية التي استخدمها النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكيف استفاد منها الإمام المهدي وطبقها في الدولة المهدية في السودان، والمقارنة بينها والمناهج الإدارية الحديثة. حيث خاض الباحثان في السيرة النبوية من الناحية الإدارية لاستخلاص تلك المناهج الإدارية، وتطبيقها في الدولة المهدية كتجربة إنسانية، وربطها بما توصل إليه الباحثان في علم الإدارة، وما هو مطبق اليوم في العالم المعاصر من مناهج إدارية. وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي المقارن في تلك الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها أن المناهج الإدارية في السنة النبوية والتي استخدمها الإمام لها صلة وثيقة بما تم اكتشافه وتطبيقه من قِبل علماء الإدارة في الحاضر. وبناء على ذلك قدمت الدراسة العديد من التوصيات، أهمها: توجيه الباحثين والمهتمين بعلم الإدارة إلي الغوص بالبحث في السيرة النبوية

لاستخلاص المزيد من الفوائد التي يمكن أن تستفيد منها المؤسسات في الدول الإسلامية بصورة خاصة، وتصديرها للعالم كتجربة إنسانية مفيدة في الحياة.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، المناهج الإدارية، الامام المهدي.

Abstract

The main aim of this study was to explore and analyze the administrative methods used by the Prophet Mohamed (Peace be upon Him). Besides, how Imam Mahdi benefited from it and applied it in Mahdia state in Sudan, and compared Prophet Mohamed methods with the modern ones. Two researchers investigated into the Prophet's biography in administrative terms, in order to extract those administrative methods and their applications in Mahdia state as a human experience to be linked to the findings of the study in modern management and its current applications on contemporary administrative methods. The descriptive analytical and comparative historical methods were used to conduct the study. The main findings of the study were that the administrative Sunna methods used by the Imam were closely linked to what has been discovered and applied by management scholars in the present. Based on the findings, the study revealed many recommendations including: directing the researchers in management to explore and investigate into Prophet Mohamed (Peace be upon Him), biography to extract more benefits that can be used in the institutions of the Islamic countries in particular and export to the world as human experience.

Key words: Prophet Biography, administration methods, El –Imam El- Mahdi

---

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وجمع فأوعى، فله الشكر والمنة والثناء الحسن بما هو أهله، جل في علاه وتقدست أسماه. وصلى الله على حبيبه ومصطفاه، سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين الداعي إلى الحق والعدل والطريق المستقيم، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعلى الصحابة والتابعين، ومن تبع نهجه وهداه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد اهتم الإسلام بالدعوة إلى الله، وتكوين الدولة المسلمة وفق منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن واجبات الإمام زمن السلم والأمن وفي أوقات الحروب، وحدد واجب كل مسلم من خلال المنهج المعتمد (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة) وفي اجتهادات الفقهاء وتشريعات الدولة الإسلامية الأولى، فلم يبق للمسلمين في كل زمان إلا اقتفاء أثر الهدي النبوي في كل مناحي الحياة. ويلاحظ أن الرسالة المحمدية رسالة شاملة لكل مناحي العلوم في الحياة الإنسانية منها والطبيعية، حيث يلمح المتدبر في آي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي توضح العديد من المناهج الإدارية، مثل الآيات التي تتحدث عن اتخاذ القرارات بالمنهج الشوري والآيات التي تتحدث عن منهج الإدارة بالموقف (آيات صلاة الخوف)، كما أن السنة النبوية زاخرة بالعديد من المناهج الإدارية.

وقد قامت في السودان تجربة لدولة إسلامية سارت في قيادتها وتراتيبها الدعوية، ومناحيها الإدارية، وتنظيماتها العسكرية، وبرامجها المالية، وكافة مناحي الحياة فيها وفق الهدي النبوي الكريم، ويظهر ذلك في التراتيب والقوانين واللوائح الإدارية، التي صانت البلاد وحفظت مصالح العباد. وهي كتجربة إنسانية مرتبطة بتطبيق تعاليم الإسلام في مناحي الحياة في تلك الفترة من التاريخ جديرة بالاهتمام والدراسة من أجل توضيح أبرز الجوانب والمناهج الإدارية في السنة النبوية التي تم تطبيقها. وكذلك توضيح العلاقة بين تلك المناهج الإدارية المأخوذة من السنة النبوية التي تم تطبيقها في تلك التجربة والأساليب الإدارية الحديثة التي كتب وتحدث عنها كُتاب الإدارة في أدبياتهم، مثل منهج الإدارة بالمشاركة، ومنهج الإدارة بالأهداف، ومنهج الإدارة بالموقف حتى يتم الاهتداء بها في الواقع المعاصر. وطالما أنه لا توجد دراسات – على حد علم الباحث– تناولت هذه التجربة من الناحية الإدارية المقارنة بين المناهج الإدارية في السنة النبوية التي تم تطبيقها في تلك التجربة والمناهج الإدارية الحديثة، فإن هذه الدراسة تسعى للغوص في أعماق تلك التجربة للوصول لنتائج يمكن أن تفيد المسؤولين في الدولة بالاهتداء بها.

أسباب الدراسة وأهدافها

1. لفت نظر الباحثين والحكام للالتزام بالمنهج الإداري النبوي وكيف طبقه الإمام المهدي.

2. عقد مقارنة ومقاربة علمية بين المنهج الإداري النبوي الذي طبقه الإمام المهدي والمناهج الإدارية الحديثة، بالتركيز على منهج الإدارة بالمشاركة، ومنهج الإدارة بالأهداف، ومنهج الإدارة بالموقف.

3. التوعية بالدور المنوط به من الجامعات والمجتمع نحو الفترة الزاهرة من تأريخ الأمة السودانية المتمثلة في الحقبة المهدية.

4. التعريف بالتقدم الإداريِ في الفترة المهدية، والتزامها بالمنهج الشرعي.

5. إظهار سماحة الإسلام في كل الجوانب من خلال منشورات الإمام المهدي، مع بيان إمكانية تطبيقها ونشرها، خاصة في زمن الحروب المنتشرة في العالم.

6. بيان دور علماء المسلمين والفقهاء في معالجة كل المشكلات المعاصرة من خلال المنهج النبوي وأفعال الإمام المهدي.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أن علماء ومفكري المسلمين بصورة عامة، وفي السودان بصورة أخص، لا يركزون على دراسة التجارب التاريخية في الحياة العامة للاستفادة منها في الحاضر والمستقبل، حيث ما زال المسلمون يهملون التمحيص في السيرة النبوية، وربطها بما توصل إليه علماء النفس أو علماء الاجتماع أو علماء الإدارة من الغربيين في مجال تلك العلوم إلا ما ندر. لذلك يلاحظ أن الكثير من التجارب، سواء أكانت في مجال السياسة والحكم أو الاقتصاد أو الاجتماع لم تنل العناية الكافية من البحث والتمحيص للاستفادة منها. فعلى سبيل المثال في السودان لا توجد دراسات للتركية السابقة في مجال التغيير الاجتماعي الذي أحدثته في السودان من حيث الهجرات والنزوح، وتغيير خارطة سكن القبائل وهجراتها في السودان، مع العلم بأن هذه الهجرات قد ساهمت فيما بعد في اختيار نظام الحكم في الثورة المهدية والحكم الإنجليزي المصري من حيث تشكيل نظارات القبائل وتحديد مناطقها وحدودها الإدارية، فكل تجربة إنسانية، سواء أكانت في مجال الحكم أم الاجتماع أم الثقافة والحضارة لها ما بعدها من آثار.

وبناء علي ذلك، فإن أهمية هذه الدراسة تنبع من أنها تشكل نقطة انطلاق لبدء دراسات أخرى في التجارب الإنسانية في السودان، هذا فضلاً عن أنها تحاول الربط ما بين المناهج العلمية الحديثة في الإدارة ومقارنتها بما استخدمه المهدي في إدارة الدولة، اهتداءً بالمنهج النبوي.

منهجية وإجراءات الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي المقارن، كما تم جمع بيانات الدراسة عن طريق الاطلاع على كتب السيرة النبوية والمخطوطات التاريخية الخاصة بالثورة المهدية والدراسات السابقة حول تلك الثورة فيما يختص بالجوانب الإدارية لمقارنتها بالأساليب الإدارية التي تم التوصل إليها في العلم المعاصر، مثل مناهج (الإدارة بالمشاركة، الإدارة بالأهداف والإدارة بالموقف)، كما تم الحصول على تلك المناهج من خلال الاطلاع علي كتب الإدارة والدراسات المنشورة في الدوريات والمجلات المتخصصة في ذلك.

الإطار العام للدراسة:

أولاً: التقسيم الإداري في الدولة الإسلامية في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) واقتفاء آثارها في عهد الإمام المهدي

إن المتمعن للنظر في السيرة النبوية يجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما استقر في المدينة بدأ أولاً في بناء الدولة وتكوين هياكلها الإدارية، وتنظيم خطوط دفاعها وتحديد علاقاتها الحالية والمستقبلية مع جيرانها، وهو ما يعرف في الفكر الإداري الحديث بالبناء التنظيمي للدولة أو إعادة هندسة الدولة أو المنظمة، ووضع إستراتيجياتها للتعامل مع الظروف الموقفية من حولها. حيث لم يغفل النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الأمور، ويتضح ذلك فيما يلي:

1. تعيين الولاة والنواب:

لعله من المعلوم أن من تولى أي أمر يحتاج لمساعدين في إدارة ما يوكل إليه من مهام، ولذلك اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم العمال لحكم الولايات وإدارة شؤون العمالات

إنابة عنه، على أن يتفرغ هو لبقية الأمور مع المراقبة للأداء العام للولاة والأمراء، وممن عينه النبي صلى الله عليه وسلم من الأمراء على الجهات كثيرين، منهم أمير مكة عتاب بن أسيد رضي الله عنه، وغيره من الصحابة(الكتاني، د.ت، 240/1).

كما عين صلى الله عليه وسلم بادان نائب كسرى على جميع مخاليف اليمن، وكان منزله بصنعاء حتى مات بعد حجة الوداع، فولى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن بادان على صنعاء، وولى على كل جهة واحداً من أصحابه، ومنهم العلاء بن الحضرمي الذي استعمله صلى الله عليه وسلم على البحرين، وغيرهم على كل بلد أو ولاية.(الكتاني، د.ت، 243/1)

وقد يستعمل أحدهم على قبيلته وقومه ومنطقته، مثل ما فعله مع عبد الله بن عمرو بن سبيع الثعلبي الذي استعمله على بني ثعلبة وعبس وبني عبد الله بن غطفان، وقد ذكر في أبي موسى الأشعري أنه صلى الله عليه وسلم استعمله على بعض اليمن كزبيد وعدن وأعمالهما، والحارث بن بلال المارني كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصف جديلة بني طيء. وسعيد بن خفاف التميمي كان عاملاً للنبي صلى الله عليه وسلم على بطون تميم وأقره أبو بكر، وغيره على الطائف، وامرئ القيس بن الأصبغ الكلبي عاملاً على كلب، وعبد الرحمن بن أيزي الخزاعي على خراسان.

وقد سار الإمام المهدي رحمه الله على المنهج النبوي، فعين عمالاً واستخلف خلفاء على الناس، وأصدر مناشير بتعيين القضاة، وقادة الجيش، وأمناء بيت المال والزكاة أسوة بدولة المدينة الأولى (القدال، 1992، 222). وهذا ما يعرف في الفكر الإداري الحديث بالتنظيم الإداري الذي تحدد فيه الصلاحيات والسلطات والمسؤوليات والمهام والواجبات، مع مراعاة دور الرقابة كعنصر مهم من عناصر الإدارة لا يمكن أن تنجح الدولة بدونه مهما كانت دقة التخطيط وسمو الأهداف وتوفر الموارد.

2. تنظيم الجيش:

لم يكن هنالك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً متفرغاً للعمل بالجندية، بل يستنفر المجاهدين عندما ينادي داعي الجهاد، ويتم تنظيم الجيش وتحديد الأمراء حسب

مقتضى الحال والجهة المتوجه إليها، ويحدد صلى الله عليه وسلم الرايات لكل قائد، ويقسم الجيش حسب الحال ويكون العدد حسب المهمة المطلوبة. وهذا ما يعرف في الفكر الإداري الحديث بمنهج الإدارة بالموقف، حيث إن كل موقف أو ظرف له متطلباته التي تقتضي الاستعداد وفقاً لها. وهكذا يلاحظ أن الجيش المهدوي كان يُنظم بالنمط نفسه، دعوة للجهاد واستنفار للأنصار، ودعوة تطوعية للقبائل والمشايخ والعلماء، غير أن المهدي جعل جيشاً متفرغاً يفرض له ريع معين، له قادة لا هم لهم سوى إقامة دولة الحق التي خرج من أجلها المهدي، وهذا أيضاً يعرف في الفكر الإداري الحديث بالتطوير والابتكار والإبداع الإداري.

3. تعيين القضاة ونظر الدعاوي:

وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين المتخاصمين بادئ الأمر، لكن عندما توسعت الدولة عين قضاة ليفصلوا في دعاوى الناس، وكان من القضاة علي رضي الله عنه. فقد خرج الحاكم في المستدرك في أوائل كتاب الأحكام من طريق ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى اليمن، فقال: علمهم الشرائع، واقض بينهم، فقال لا علم لي بالقضاء، فدفع في صدره، وقال اللهم أهده للقضاء (الحاكم، 2،1990/337). كما أنه استعمل عمر رضي الله عنه، ومعاذ رضي الله عنه، وغيرهم. (البيهقي،1344، 87/10) . ويعرف هذا في الفكر الإداري الحديث بفصل الجهاز التنفيذي عن الجهاز التشريعي في الدولة. وهذا ما فعله المهدي رحمه الله كما سنبين فيما بعد عند الحديث عن حكومة المهدي.

4. اتخاذ الكتاب:

لكي تصل الدعوة النبوية لكل الجهات فقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم مترجمين وكتاباً للوحي وللرسائل. وقد ورد أن من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسيدي رضي الله عنهم. (الطبري، 1407، 218/2).

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة، ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله بكتبه. فقد كتب لعمرو بن حزم عهداً حين وجهه إلى اليمن، وكتب لتميم الداري وإخوته بإقطاع بالشام، وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية، وكتب الأمانات أحياناً إلى غير ذلك(الكتاني، د.ت،119/1). وهذا يعرف في الفكر الإداري الحديث بمديري المكاتب والسكرتارية التنفيذية والاتصالات الإدارية التي تطورت الآن باستخدام تقنية الاتصالات، لتسمى بنظم المعلومات الإدارية. ولتطبيق ذلك المنهج والالتزام بالهدي النبوي، فقد كتب المهدي رحمه الله أيضاً المنشورات، وأرسل الرسائل للملوك والقضاة والحكام، لتكوين الدولة المهدوية النبوية.

5. تكوين دواوين متخصصة:

هنا يلاحظ المُطّلع على السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفرد بعض الصحابة بأعمال متخصصة للرسائل والمراسلات، ولكتابة الوحي، ولجمع الصدقات وتوزيع الغنائم، حتى تطورت وصارت في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دواوين متخصصة، كل حسب تخصصه، فديوان للإنشاء، وديوان للرسائل، وغير ذلك فقد ترجم في الإصابة لحاجب بن زرارة الدارمي التميمي، فذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعثه على صدقات بني تميم (الكتاني، د.ت،441/1).

وكذلك يلاحظ أن الإمام المهدي رحمه الله قد فعل ذلك كما هو ظاهر في حكومته التي سعى لتأسيسها منذ بدء الدعوة الأولى وحتى سقوط الخرطوم، ووفاته رحمه الله. وهذا أيضاً يوضح ما يسمي بالتنظيم الإداري، والتخصص في مجال العمل لزيادة الكفاءة والفعالية الإدارية من خلال وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

ثانياً: البناء الإداري في حكومة الإمام المهدي:

إن المتفحص والمتتبع للثورة المهدية من الناحية الإدارية يلاحظ أن الإمام المهدي رحمه الله قد وضع نظام حكومته وإدارة شؤون الدولة وفق ما هو في دولة المدينة، كما تم ذكره سابقاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بدأ بتطبيق ذلك في قدير، وبعد تحرير

الخرطوم اتخذ من أمدرمان عاصمة له. وكان للمهدي السلطة العليا، وعيّن أربعة خلفاء لمعاونته في إدارة الدولة، وكان يسير على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فاعتبر نفسه خليفة رسول الله، وأصدر منشوراً جعل عبد الله التعايشي في مقام الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، وبيَّن فضائله في المنشور (أبوسليم ،1979، 66)، وعلي ود حلو في مقام الخليفة عمر بن الخطاب، والسنوسي في ليبيا في مقام الخليفة عثمان بن عفان، ومحمد شريف حامد في مقام الخليفة علي بن أبي طالب(القدال، 1992، 186).

وأصبح لكل واحد من هؤلاء القادة راية خاصة من رايات الجيش، وللمهدي رحمه الله رايته الخاصة، ويمكن تغيير القادة حسب المهمة أو الجهة التي سيتوجه إليها الأنصار، ويصدر الإمام منشوراً يوصي فيه القائد والمجاهدين بالالتزام بتقوى الله، ويوصي الأنصار بطاعة الأمراء ويخرج مع المجاهدين عند العرضة، ملتزماً في ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم. كذلك أصدر المهدي منشوراً أنشأ بموجبه بيت المال لحفظ أموال الدولة ومؤنها وعين عليه أحمد ود سليمان (أبو سليم، 1979 ،299).

أما في جانب القوانين فقد جعل من الشريعة الإسلامية مصدراً لدستور الدولة، وكان هو الذي يقضي بين الناس، ثم خليفته، ثم عين قاضي الإسلام المتفرغ، وهو أحمد ود جبارة(سلاطين باشا، 1930، 94). وهو أعلى سلطة قضائية، ويعاونه عدد من القضاة، بينما المهدي والخلفاء ينظرون في القضايا الكبيرة، أما في جانب النظام الإداري في الأقاليم، فقد أصدر الإمام المهدي عدداً من المنشورات، حيث عيَّن فيها أميراً أطلق عليه اسم عامل، وله مطلق التصرف في إقليمه. فقد عين محمد خير عبد الله عاملاً على بربر، وعين محمد عثمان أبو قرجة أميراً ولقبه بأمير البرين والبحرين، ومحمد خالد زقل لعموم الغرب، ومادبو لدارفور، وكرم الله الكركساوي لبحر الغزال، والشيخ الهدي لدنقلا، وود دقنة للشرق، وغيرهم من العمال (القدال، 1992، 219).

أما فيما يتعلق بالجيش المهدوي، فقد كان موزعاً حسب المناطق، ومرة حسب القبائل، وغير ذلك حسب مقتضى الحال، ومقسم لرايات لكل قائد راية، فهنالك فرقة المسلمانية وهم المسيحيين الذين أسلموا، والجهادية بقيادة حمدان أبوعنجة، وأصدر المناشير التي تحدد

ذلك، ولكل رايته فالزرقاء لأهل الغرب ويقودها الخليفة عبد الله، والخضراء لأهل الوسط ويقودها علي ود حلو، والحمراء لأهل الشمال ويقودها الخليفة شريف، والجيش مقسم لأرباع، والأرباع لمئات (سلاطين باشا،1930، 177).

وكل هذا يوجد في الفكر الإداري الحديث بما يسمي بمنهج الإدارة بالمشاركة والإدارة بالموقف والإدارة بالأهداف، وتقسيم العمل، والتخصص والتفويض الإداري.

أما فيما يخص الزكاة في الدولة المهدية، فقد تم تطبيق الزكاة لأول مرة في السودان بصورة رسمية عندما أصدر الإمام محمد أحمد المهدي منشوراً خاصاً بتعيين الشيخ أحمد سليمان أول أمين لبيت المال وحدد واجباته وسلطاته، أصبحت الزكاة تؤخذ وتوزع تحت ولاية الدولة (أبوسليم، 1979، 231).

ولعل أهم ميزات تجربة الزكاة في الدولة المهدية أن تعيين الجباة كان يتم بواسطة الإمام المهدي شخصياً، كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان تحديد زمانها حسب المنشور الصادر من الإمام المهدي رحمه الله، فهو الذي يحدد كل شئ فيها، فينص على اسمه في ذات المنشور، ويؤمر فيه بتقوى الله، وأن الجابي لا يحق له أن يجمع الزكاة، إلا إن كان معه أمر مختوم بختم المهدي (عبد القادر،1992، 1).

ومع الزكاة فقد تم تكوين بيت المال، وكان له نظام إداري دقيق، وله دخله الرئيسي من الزكاة، وله أفرع في كل الأقاليم، وله أمين متخصص أسوة بما كان في العصر النبوي الشريف، وهذا ما يعرف في الدولة الحديثة بوزارة المالية والرقابة المالية.

ثالثاً: المقارنة بين المتابعة اليومية للإمام المسلم والفكر الإداري الحديث

وبعد أن توضع القوانين في كل دولة لابد لها من تطبيق، ولكي يصبح التطبيق عادلاً يساوي بين أفراد الدولة، لابد له من متابعة من أجهزة الدولة لاسيما رأس الدولة، وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه من بعده، وما جعله المهدي نصب عينيه، وسار على نهجه.

1. المتابعة الشخصية بين المنهج النبوي والمهدوي:

وضع النبي صلى الله عليه وسلم منهجاً في مراقبة العمال، ومتابعة الأعمال اليومية، وتبعه في ذلك الخلفاء من بعده، فقد كان عليه السلام ينظر في المظالم، فقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرب الذي تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الأنصار في شراج جمع شرج بالفتح، وهو مسيل الماء من أكرة إلى السهل، فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه (الكتاني، د.ت، 266/1).

وكان يجيب على أسئلة الناس، ويقود الجيوش، ويزور الأسواق، ويراجع المكاييل والموازين، ولا ينتظر تقارير العمال فقط، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة طعام، والصبرة واحدها صبر الطعام، يقال اشتريت صبرة أي بلا وزن ولا كيل، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟) قال: يا رسول الله أَصابته السماء، قال:أفلا جعلتَه فوقَ الطعام حتى يراهُ الناسُ؟!، وقال: (مَن غَشَّنا فليس منا). (مسلم، 1412،1/79). وهكذا كان الحاكم يجوب الأسواق ويراقب العمال، ويعلّم الناس، ويرد على أسئلتهم، ويفصل في بعض القضايا، ويهتم بأمر الأمة.

2. منشورات المهدي والمتابعة اليومية:

التزم الإمام المهدي رحمه الله بالمنهج النبوي في متابعة الأمور بنفسه، فكان يتابع ويعالج أمراض المجتمع أولاً بأول، ويصدر المنشورات والتوجيهات والفتاوى، فيمنع ما هو ممنوع وحرام وفق الشرع الحنيف. فمن المهم الإشارة إلى بعض المنشورات التي عالجت بعض مشكلات المجتمع إذ ذاك، مثل:

أ. منشور في الآداب الاجتماعية التي يجب مراعاتها، وآداب التجارة بيعاً وشراءً. (أبو سليم، 1979،283).

ب. منشور لتحريم التبغ والتمباك والرقص والغناء والدلاليك والنحاس (إلا للحرب) (سلاطين باشا، 1930، 177).

ت. منشورات عدة لبيان أحكام الزواج والطلاق، وتخفيض المهور، والكلام مع النساء الأجنبيات بغير عقد (سلاطين باشا، 1930، 194).

ث. منشور بمعاقبة كل من يعتدي على حرمات الله، وحرمات الناس بإقامة الحدود (سلاطين، باشا 1930، 180).

ج. كما كان هنالك منشور للصلاة وفضلها ومعاقبة عدم المحافظة عليها(سلاطين باشا، 1930، 136).

وهكذا فقد كانت منشورات الإمام المهدي تتناول قضايا دينية واجتماعية واقتصادية، وعلاج لمشكلات المجتمع السوداني، بمنع الدخان والتمباك وتعاطي المحرمات، والالتزام بالآداب الاجتماعية، وأمور الزواج والطلاق، والنساء ومخالطتهن، والدخول عليهن بدون عقد، وشملت منشوراته أمر البيع والشراء، وعدم الغلول من الغنائم في الحروب، وغيرها من أحوال الحياة اليومية في البلاد، يأتي ذلك رغم مشغوليته في الجهاد ومنافحة الكفار، والحفاظ على أمن الدولة ونشر المهدية في الخارج، مع ذلك كله يتابع ما يدور في المجتمع، ويضع الحلول لكل مشكلة.

رابعاً: منهج إدارة العلاقات الخارجية في الهدي النبوي

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالعلاقات الخارجية مع الدول التي تعيش حول دولة الإسلام، فكتب الكتب والرسائل، وأرسل لهم الرسل والسفراء، ودعا الملوك والأمراء للدخول في الإسلام، وسعى لخلق علاقات ودية مع كل الدول الخارجية، وحرص على نشر النور في أرجائها.

1. دعوة الملوك والحكام إلى الإسلام:

بعد استقرار الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، وفي بداية بناء الدولة أرسل الرسل للملوك والأمراء إلى هرقل إمبراطور الروم، والمقوقس حاكم مصر، والمنذر بن ساوي حاكم البحرين، والنجاشي ملك الحبشة، والحارث الحميري حاكم اليمن، وملكي عمان جيفر وعياد ابنا جلندي، وهؤلاء دخلوا في الإسلام(الكتاني، د، ت،183/1).

أما الحارث بن أبي شمر ملك الغساسنة بالشام فقد قتل الرسول الذي أرسله إليه رسول الله، وكسرى ملك الفرس غضب ومزق الخطاب، فدعا عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فمزق الله ملكه. واتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً لتمييز كتبه عندما ترسل للخارج، فقد أخرج البخاري عن أنس قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم فقيل له إنهم لن يقرؤا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه (محمدرسول الله)، فكأنما أنظر إلى بياضه في يده صلى الله عليه وسلم). (البخاري، 1422هـ، 2205/5).

2. المهدي والعلاقات الخارجية (سلاطين، 1930،51):

وقد التزم الإمام المهدي رحمه الله بنهج النبي صلى الله عليه وسلم في إرسال الرسل للملوك والأمراء، فقد أرسل للشلالي باشا رسولاً وقتله الشلالي، وأرسل الرسائل لسلطان البرقو بوداي، وإلى السنوسي في ليبيا، وإلى حفيد عثمان دان فوديوا بنيجيريا، وأرسل الرسل والرسائل لوالي فاس بالمغرب، والى توفيق باشا والي مصر، وأرسل إلى يوحنا ملك الحبشة (القدال، 1992، 273).

وأرسل المهدي رحمه الله خطابات ورسائل إلى الخلفاء في الطرق الصوفية والعلماء والفقهاء الشرعيين وقادة الحاميات الحكومية، وحاميات العسكر للتسليم والدخول في المهدية.

خامساً: التعريف بالمهدية والتراتيب الإدارية فيها

برزت فكرة المهدية منذ عهد بعيد مع بزوغ فجر الإسلام، وزاد التمسك بها وظهرت الحاجة إليها بعد تفكك الدولة الإسلامية الكبرى، وتفرق جماعة المسلمين، ووقع البلاد الإسلامية تحت الاستعمار الأوروبي، والعداء السافر والاستهداف المتواصل على المسلمين وبلادهم ودينهم، عند ذلك عاد لعلماء المسلمين، والدعاة والمفكرين منهم عودة المهدي، الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد إن ملئت جوراً، ويعيد للإسلام عزه ومجده، ويرد الظلم عن الضعفاء، ويرفع الضيم عن أصحاب الحقوق المهضومة، وهنا وجدت الفكرة القبول لدى

عامة المسلمين باعتبار أنها فكرة دينية ونبوءة محمدية تحتاج إليها الأمة الإسلامية عامة (القدال، 1992، 152).

وفكرة المهدي المنتظر لم يرد ذكرها في القران الكريم، ولكنها جاءت في بعض الأحاديث التي صححها بعض العلماء، ودرسها العلماء والفقهاء من بعدهم، حتى سارت بها الركبان إلى بلاد السودان، مع ما دخلها من القرآن والحديث والفقه والسلوك الشرعي النبوي، ومع انتشار القهر الاستعماري، والظلم التركي للمواطن السوداني، وفساد الحكام مع فرضهم للضرائب الباهظة على القطعان والزروع والتجارة مما جعل حياة المواطن السوداني جحيم لا يطاق، هنا برز القائد المسلم والبطل الهمام، والحافظ المتقن، والزاهد العابد، والحاذق الماهر في التخطيط والترتيب، والمواطن الصالح محمد أحمد بن عبد الله (المهدي) ليخلص البلاد من كل ما سبق، ويعيد إحياء الدين في نفوس الناس، ويرد ظلم المستعمر، ويدعو إلى الله على بصيرة منه، مهما كلفه ذلك، ساعده في جهده وجهاده، نشأته الدينية، ومؤهلاته العلمية من حفظ للقرآن ودراسة للحديث الشريف، وعلم بالفقه وآراء الفقهاء، ومقدرات عقلية عالية، وإخلاص منقطع النظير للدين الإسلامي، وإعادة مجده الآفل.

إن القارئ لتاريخ الثورة المهدية يلاحظ أن فكر وجهد الإمام المهدي قد انصب في إقامة مجتمع إسلامي، يطابق في عقيدته وعبادته وسلوكه مجتمع النبي صلي الله عليه وسلم، ويتشبه بما كان عليه والخلفاء الراشدين من بعده، فأعلن مهديته وعين خلفاءه، وبذل قصارى جهده في تحقيق هدفه ومبتغاه، ووضع من النظم والقواعد والقوانين ما يوصله لذلك وقد حدث.

ولتحقيق ذلك الفكر النبوي في واقع الدولة فقد وضع الإمام المهدي رحمه الله الأنظمة الادارية، والتشريعات التي تمكنه من اتباع المنهج النبوي في كل المجالات، نذكر بعضاً منها، ويتمثل ذلك في المجالات الآتية (أبو سليم،1979،276):

1. في مجال الحكم والسياسة:

فقد وضع من التراتيب ما يعين على قيام الدولة المنتظر ظهورها، فأعلن مهديته، وأنه جاء لتخليص البلاد من الظلم وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم، فأعلن نفسه قائداً للجماعة وترأسه لها، وعين له خلفاء أربعة كخلفاء القدوة والأسوة صلى الله عليه وسلم، وبين أن هذا أمر ديني رتبه على أساس أنه خليفة رسول الله وخلفاؤه صلى الله عليه وسلم خلفاء لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل ذلك سيرًا على منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

2. في المجال العسكري وتنظيم الجيش:

وضع الإمام المهدي من التراتيب والنظام ما يجعل الجيش على النهج النبوي الأول، فأعلن الجهاد على الكفار، وأرسل الرسل للقبائل للحث على إحياء سنة النبي صلي الله عليه وسلم في الدفاع عن الوطن والعقيدة، ونجح في تكوين جيش على حسب الجيش الإسلامي في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم.

3. في مجال القضاء والأحكام:

فقد عين الإمام المهدي الشيخ أحمدود جبارة في منصب قاضي الإسلام (القدال، 1979،186)، كل ذلك نشراً للعدل، وتوطيداً لأركان الإسلام، كما فوض أمراء وعمال الولايات والأقاليم للنظر في القضايا المختلفة، أو تكليف من يقوم بالمنصب الشرعي، وذلك فصلاً للقضاء عن أمر السياسة وهو ما أصبح منهجاً عالمياً مطلوباً في كل الدول حديثاً.

4. في المجال الاقتصادي:

في هذا المجال، فقد فصل الإمام المهدي رحمه الله المال عن العمال والأمراء والحكام، فأسس بيتاً للمال، وجعل له أميناً خاصاً، وأصدر المنشورات حول الغنائم وتوزيعها للمجاهدين، كما أرسل المنشورات التي تحدد المرتبات للجيوش وقادتها، والزكوات وجمعها وتوزيعها، وطرق جبايتها، وغير ذلك من الأمور المالية والاقتصادية.

5. في مجال التعاليم والتعلم (أبو سليم، 44،1979):

فقد كتب الإمام المهدي رحمه الله المنشورات لإرشاد أتباعه حتى يتمكنوا من تأدية عبادتهم بالطريقة الصحيحة، وتكون عبادتهم خالصة لله تعالى، فحث على العقيدة الصحيحة، حيث إن أمر العقيدة هذا ما كان معروفاً من قبل، فكان الناس يحفظون القرآن، ويقرؤون الفقه والسلوك فقط، فاهتم بتصحيح العقيدة مع القرآن والحديث وتطبيق السلوك وفق المنهج النبوي.

6. في المجال الاجتماعي وإصلاح المجتمع (أبو سليم، 283،1979):

فعندما أعلن الإمام المهدي رحمه الله مهديته انضم إليها معظم أهل السودان، ولما كان المجتمع يحكم بالقانون التركي مرة، وبالإنجليزي مرة، وبالمصري مرة، احتاج الإمام المهدي رحمه الله، لإصلاح عام للمجتمع، فكتب الإمام المهدي رحمه الله المنشورات لعلاج هذه المشكلات، فكتب عن الزواج، والطلاق وأحكامه، وعن حجاب المرأة، والمحافظة على الحرمات، ومنع الخمر، وتحريم التمباك، وتعاطي الدخان، وغيرها من القضايا الاجتماعية.

ولم يكن إعلان المهدي رحمه الله للجهاد من أجل القتل، ولم تكن ثورته على الظلم من أجل التمرد، ولم يكن تفكيره في تخليص الأمة كقائد اجتماعي أو مفكر فلسفي، ولم يكن خارجاً طلباً لسلطة أو عرض من الدنيا، فإن كان يريد ذلك فقد جاءته الدنيا كلها عندما أرسل غردون باشا كسوة شرف للمهدي ومعها رسالة أعلن فيها تعيينه حاكماً على كردفان، وطلب منه إطلاق سراح السجناء، أما المهدي، فقد رد الكسوة ومعها رسالة أكد فيها أنه المهدي المنتظر، ورفض تعيينه حاكماً على كردفان، ودعاه لاعتناق الإسلام وسيعينه حاكماً لجهة من الجهات إن أسلم (أبو سليم،211،1979).

كل هذا يدل على أنه كان مسلماً ملتزماً يرى الخروج من المنهج النبوي ومخالفة الإسلام تنتشر في المجتمع وترعاها الدولة، فعلم أنه لا خلاص إلا بإصلاح الحال كله، ولا يتم ذلك إلا بما صلح به المجتمع النبوي الأول، ألا وهو المنهج الإسلامي الكامل، ولا يتأتى هذا المنهج إلا بالالتزام بالعقيدة الصحيحة، رائده وقدوته في ذلك النبي صلى الله

عليه وسلم، واضعاً نصب عينيه منهجه السليم، الذي يظهر من خلال السنة النبوية الشريفة. فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) (البخاري، 1422، 17/1).

ولذلك أعلن المهدي مهديته عصمة لدماء المواطنين وحفاظاً على أموالهم وأنفسهم، وحارب الكفر وحكام الإنجليز غير المسلمين، أما الحكام المسلمون، فقد كان يرسل لهم الرسل والرسائل حتى يسلموا، وينضموا للحشود المؤيدة له، وكان في منشوراته التي كانت حلقة الوصل بينه وبين الناس، كان دائماً يركز على العقيدة، وتقوى الله والإيمان به والتوكل عليه، فقد قال في منشور له: (من كان يوحد الله ويرجو لقاء الله لا يميل لشئ دون الله.....). (أبوسليم، 1997، 30).

وهكذا ينمي الإمام عقيدة التوحيد، لأن الدولة التي لا تحمي نفسها بالمنهج الشرعي عرضة للفساد والإفساد، وظل يذكرهم بعدم الشرك بالله في كل مناسبة، لأن الشرك يهزم ويهدم عقيدة المؤمن ويحوله لمشرك لا يعبد الله، ففي منشور له يوصي الإمام الأنصار، فيقول: (يا أحبابي فقد بايعتموني على ألا تشركوا بالله شيئا....) (أبوسليم،1997، 28).

وعندما تم الأمر، وتم تنظيم الدولة وتوطدت أركانها، كان يرسل المنشورات للعمال والحكام، وقادة الجيوش، والقضاة وأمناء المال، يوصيهم بتقوى الله والتوكل عليه، وذلك في كل منشور كان يرسله لهم، مما يؤكد اهتمامه وتأكيده على الجانب العقدي، وأنه أساس الحكم، وهو الذي ستصلح به الأمة، وتقام به دولة العدل، التي كان يسعى لها الإمام المهدي رحمه الله (أبو سليم،1997، 117).

الخلاصة:

1. لم يكن الإمام المهدي رحمه الله ثائراً ضد وضع سياسي متردي، ولا خارجاً على دولة ظالمة فقط، بل كان مصلحاً يعمل من أجل إعادة مجد الأمة الإسلامية، ويسعى لتطبيق المنهج النبوي في العالم كله، لاسيما الإدارة.

2. التزم الإمام المهدي رحمه الله بالسنة النبوية، وحرص على أن تكون واقعاً في حياة الناس، في الجوانب الإدارية، من تعيين للخلفاء وقيادة للجيوش، وإصلاح للمجتمع وغيرها.
3. يظهر تطبيق المنهج الإداري النبوي في الحكومة النبوية من خلال المنشورات التي يصدرها الإمام المهدي في كل مناحي الحياة.
4. قسم الإمام المهدي دولته لولايات وعمالات، وجعل لها حكاماً منحهم صلاحيات واسعة، وظل يراقبهم في أعلى صور الفدرالية والمشاركة في الحكم من أهل المناطق في حكمهم لأنفسهم، وفق المنهج الإداري النبوي.
5. اهتم الإمام المهدي بالعلاقات الخارجية، وجعل لها نظاماً خاصاً فأرسل الرسل وتلقى الرسائل، واتصل بالعالم الخارجي لنشر الدعوة واستقرار أطراف الدولة المهدية في أرقى صور العلاقات الدبلوماسية بنظام إداري وفق الهدي النبوي الأول.

التوصيات: من كل ما تقدم توصي الدراسة بالآتي:

1. إعادة دراسة السنة النبوية لاستخلاص العِبر والدروس منها، والوقوف على المناهج العلمية فيها.
2. إقامة ورش وسمنارات للتعريف بالجوانب المختلفة في حياة الإمام المهدي، خاصة والدولة المهدية عامة، في كل جامعات السودان.
3. طباعة مطبقات وملصقات للتعريف بالمنهج الإداري في الهدي النبوي، مع المقارنة بالمناهج الإدارية الحديثة.
4. إقامة مؤتمرات متخصصة لكل جانب من جوانب الحياة في الدولة النبوية الأولى ومقارنتها بالواقع المُعاش.
5. تخصيص جائزة علمية سنوية باسم الإمام المهدي للدراسات المهدوية.

المراجع:

1. أبو سليم، محمد إبراهيم (1964م)، المرشد إلى وثائق المهدية، الخرطوم.
2. أبو سليم، محمد إبراهيم(1979م)، منشورات المهدية، جمع وتحقيق محمد إبراهيم أبو سليم الطبعة الثانية، بيروت– لبنان، طباعة دار الجيل.

3. البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، تحقيق محمد الناصر، دار طوق النجاة.

4. البيهقي، أبو بكر أحمد بن علي(1344هـ)، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، الهند - حيدر آباد، الناشر مجلس دائرة المعارف النظامية.

5. الترمذي، محمد بن عيسي (1394هـ)، سنن الترمذي، بيروت – لبنان.

6. الحاكم، محمد عبد الله (1990م)، المستدرك على الصحيحين، بيروت، ط1، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

7. الطبري، محمد بن جرير(1407م)، تاريخ الأمم والرسل والملوك، بيروت – لبنان، ط1، دار الكتب العلمية.

8. القدال، محمد سعيد (1992م)، الإمام المهدي لوحة ثائر، لبنان– بيروت.

9. القدال، محمد سعيد (1992م)، تاريخ السودان الحديث، الطبعة الأولى، الطابعون: طباعة مصحف أفريقيا، الناشر مركز عبد الكريم ميرغني.

10. الكتاني، الشيخ عبد الحي (د. ت)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، الناشر دار الكتاب العربي.

11. سلاطين، عبد القادر باشا (كارل رودلف) (1930م)، السيف والنار في السودان، ط1، طبعة جريدة البلاغ، القاهرة ، ميدان الأوبرا، نشر مكتبة الآداب.

12. عبد القادر، محمد البشير (1992م)، نظام الزكاة في السودان، السودان أم درمان، دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر.

13. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (1412هـ)، الجامع الصحيح، بيروت– لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل – دار إحياء التراث.